بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

قد تلجأ العامّة إلى لفظةٍ فصيحة فتقلب معناها من وجهٍ إلى وجهٍ ، وتقبّح هذا الوجه أشدّ تقبيح ، من ذلك لفظة : فطس ، لاحاجة بنا إلى الإتيان على معاني هذه اللفظة بمجامعها ، ولكنّا نقف على معنى واحد منها ، يقال : فطس يفطس بكسر عين المضارع أي مات الّا أن العامّة لا تقتصر على الموت وحده ولكنها تجعل لهذا الموت أقبح صورة ، فإذا عُرف رجل بسوء خلقه أو بشدّة أذاه أو بما يقرب من هذا كله ومات هذا الرجل فإنهم لا يقولون : مات وإنما يقولون : فطس ، وفي قولهم هذا شيء كثير من الشماتة أو من الفرح أو من أشباه هذه الأمور ، فكأنهم يعبرّون باستعمالهم فعل :فطس عن سلامتهم من شرّه ، أما إذا مات رجل صاحب أخلاق حسنة فإنهم لا يقولون فيه : فطس ، وإنما يقولون مات ويطلبون له الرحمة ، وقد اشتقوا من لفظة : فطس ، لفظة ثانية وهي الفطيسة ، فكأنهم يريدون بهذا الاشتقاق الدابّة الميتة ، الملقاة على الأرض ولها الرائحة الكريهة ، أفرأينا الصلة بين قولهم : فطس وبين الفطيسة ، فكأن الرجل الذي يكرهونه يصبح في نظرهم كالفطيسة وقد ورد في اللغة : الفطّيسة بتشديد الطاء : أنف الخنزير أو أنفه وما والاه ، غير أن العامة لا تشدّد الطاء في هذه اللفظة .

لننتقل الآن إلى مادةٍ ليس فيها شيء من القبح ، فمن الألفاظ المستفيضة في لغة العامّة لفظة : الفرجة وهم يريدون بها كلّ مشهدٍ تقرّ به العين وينشرح به الصدر ويدخل السرور على القلب ، فلنرجع إلى أصل هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المـادّة ، نجـد في اللغة فرّج الله الغمّ كشفه ، والفرجـة التقصّي من الهمّ أي التخلّص منه ، وعلى هذا الوجه نجـد أن الفرجة العامية والفرجـة الفصيحة متقاربتان وإن كانت الفرجة العـامية لم تطلق في القديم على المعنى الواسع الذي أطلقت عليه في أيامنا ، وكيف كان الأمر فإن التخلّص من الهمّ إنما هو قرّة العين وانشراح الصدر .

ومن الألفاظ الحيّة في لغـة العامّة لفظة : التهريج ، ماذا نجـد في اللغـة ؟ يقال : هرج الرجل في الحديث أفـاض وأكثر وخلّط فيه ، والمرَج بفتح الراء الاختلاط والاضطراب وإذا قالوا : الهـرج والمرج سكّنوا راء المرج وهذا التسكين أخفّ على الأذن من أن تبقى راء المرج مفتوحة وراء الهرج ساكنة ، فالهرج والمرج فصيحتان ومعناهما العامي مطابق لمعناهما الفصيح في القديم فإذا كان الهرج والمرج يراد بهما كثرة الكلام والتخليط فيـه فالعامّة تريـد بالتهريـج هذا النوع من الكثرة والتخليط وقـد تتوسّع في معنى التهريـج فتريد بـه الكلام الذي لا جدّ فيه ولا صواب رأي ، إلّا أن التهريـج في البعير على نحو ما جـاء في اللغـة الفصيحة إنما هو حمله على السير في الهاجرة حتى يسدر ، أي يتحيّر ، من شدّة الحرّ كالاهراج ، وزجر السبع والصياح به إلى آخر ما جاء في تفسير هذه اللفظة . وإذا كانت العامّة تطلق على المضحك من الناس و المكثر من الكلام لفظـة : المهرّج فاللغـة الفصيحة وضعت الهرّاج على وزن شدّاد لمـا يقرب ممّا تقصده العامّة ، والهراجة الجماعة يهرجون في الحديث .

قـد تشيـع على ألسن العامّة في بعض الأوقات ألفاظ لها معنى يختلف عن المعنى الذي جاء في اللغـة الفصيحة ، ولست أدري هـل من السهل تعليل هـذا الأمر ، من ذلك مثلا قول العامّة : نُدفّش أيامنا تدفيشاً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهم على ما يظهر يريدون بذلك أنهم يقضون أيامهم دون شيء من اللذّة والسرور ، ماذا نجد في اللغة ، نجد أن الدفشة بالفتح دويبة رقطاء أصغر من القطاة أو طائر أرقش ، والدفش كالنفش ، والنفش إنما هو تشعيث الشيء بأصابعك حتى ينتشر ، كالتنفيش ، ولها معانٍ ثانية لا حاجة بنا إلى ذكرها في هذا المقام ، فإذا كان معنى الدفش مثل معنى النفش أي تشعيث الشيء بالأصابع حتى ينتشر فهل يجوز لنا أن نتوسّع في التعليل على سبيل المجاز ، فإذا قلنا : ندفش أيامنا تدفيشاً حتى تمر فكأنّا نشعث الأشياء بأصابعنا حتى تنتشر ، وفي كل حال هذا رأي لا أقطع به ولكنّا نستطيع أن نقول : إن الدفش فصيحة وإن لم يكن لها في لغة العامّة المعنى الذي جاء في اللغة الفصيحة .

وقد نجد في لغة العامّة في كثيرٍ من الأحوال ألفاظاً فصيحة في أصلها ولكن العامّة جعلت لها معنى يختلف عن معناها الفصيح القديم ومهما نتوسع في التعليل فقد يصعب علينا في بعض الحالات الاهتداء إلى السبب في هذا الاختلاف، فمن أقوال العامّة :اسمع وسطّح، بتشديد الطاء .وهم يريدون بذلك إذا سمعت حديثاً لا يعجبك أو فيه شيء من البعد عن الصواب أو ما شابه ذلك فلا تبالِ بهذا الحديث فاطرحه وأهمله ولا تشغل به فكرك ، فإذا رجعنا إلى مادة السطح في اللغة فإنا نجد أن السطح إنما هو ظهر البيت وأعلى كل شيء ونجد أن : سطحه معناها : بسطه وصرعه ، وأضجعه ، وسطح سطوحه بالتشديد : سوّاها إلى آخر ما جاء في تفسير هذه المادة ، فالذي يهمنا من كل ذلك إنما هو : التسطيح ، فأي صلةٍ بين تسطيح السطوح أي تسويتها وبين التسطيح الذي تريده العامة وهو إهمال ما نسمعه من كلامٍ لا يقع منّا موقعاً ، فكل ما نستطيع أن نقطع به في هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الباب أن مادّة التسطيح فصيحة وأن معناها في الحديث يختلف عن معناها في القـديم ، وإذا أردنا أن نتوسع بعض التوسع في التعليل ونقول : إذا كان تسطيح السطوح إنمـا هو تسويتها فقد يجوز أن يكون تسطيح الحديث الذي نسمعه إنمـا هو تسويته أي ردّه الى الحقيقة ، وقد يكون في هذا التوسّع شيء من الغلوّ فلنكتف بقولنا إن لفظة التسطيح إنما هي فصيحة لاغير .

وأخيراً فإن من كلام العامّة : فلان كلامه نتر ، أي كلامه شديد غليظ ، وفي اللغة : النتر تغليظ الكلام وتشديده .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net